

**المشكلة الجزئية الرابعة** : في الذاكرة و الخيال  
**العنصر** : أثر النسيان على سلوك الإنسان  
**السؤال** : هل النسيان ظاهرة سلبية ؟

**المقدمة** : ينفرد الإنسان عن غيره من المخلوقات بجملة من الملامات الذهنية التي تساعده على تحصيل المعرفة و تحقيق التكيف مع العالم الخارجي و من بين هذه القدرات نجد الذاكرة التي تقوم بحفظ صور الواقع الماضية و إسترجاعها في الحاضر مع الوعي بها من حيث هي وقائع ماضية غير أن ما يلاحظ في حياة الإنسان أنه في الوقت الذي يكون فيه بحاجة ماسة إلى خبرته السابقة يفشل في استحضارها و تسمى هذه الظاهرة **بالنسيان** و هو عجز مؤقت أو دائم عن **إسترجاع الذكريات** ، غير أن البحث في **أثر النسيان على سلوك الإنسان** كان من بين المشكلات الفلسفية التي شغلت اهتمام العديد من المفكرين و الفلاسفة و علماء النفس نتج بشائرها اختلاف في المواقف و تباين في التصورات ، إذ يعتقد البعض منهم بأن النسيان ظاهرة سلبية ، بينما يشكك آخرون في هذا الطرح و يذهبون إلى القول بأن النسيان ليس ظاهرة سلبية و إنما هي إيجابية ، و في ظل هذا الجدل القائم يثار التساؤل التالي : **ما حقيقة النسيان ؟ هل هو نشاط يعيق وظائف الذاكرة و يفضي إلى عدم التكيف أم هو شرط من شروط توازنها و عامل من عوامل إستقامتها ؟**

### **العرض ( محاولة حل المشكلة ) :**

**1 - عرض منطق الأطروحة** : يعتقد بعض الفلاسفة و علماء النفس و في مقدمتهم تيودول ريبو و سيرغموند فرويد بأن النسيان ظاهرة سلبية يؤدي إلى عدم التكيف و تحقيق التوازن في الحياة ، فهو في نظرهم عامل من العوامل المفضية إلى الفشل و الإخفاق في الحياة إنه نشاط يعيق لوظائف الذاكرة و مثبط لفعالية الإنسان و يستند أنصار هذا الاتجاه في تبرير موقفهم على الحجج التالية :

إذ أن استقراء **مظاهر النسيان** يكشف أن لهذا الأخير أثر سلبي في مختلف التواхи

فمن النهاية الذهنية إن النسيان هو مظاهر من مظاهر الإلحاد في الحياة لأنه يحول دون تحصيل المعرفة و إكتساب العلوم فإذا كان الإنسان يتکيف مع حاضره بمخالف ما حفظه من معارف و علوم و تجارب اعتمادا على ذاكرته فإن النسيان يعمل مناقضا لها و يحول دون التلام و التكيف مع المواقف الحاضرة و الدليل على ذلك أن الطالب يوم الامتحان في الوقت الذي يكون فيه بحاجة ماسة إلى استرجاع ما تعلمه يفشل في الاستحضار مما يفضي إلى الإلحاد و ما يؤكد هذا هو مظاهر الرسوب في الامتحانات و المسابقات فالنسيان بهذا المعنى يقف أمام تحصيل و إكتساب المعرفة إذ قيل في هذا الصدد : (( إن

### آفة العلم النسيان ))

و تظهر سلبيات النسيان أيضا من النهاية الاجتماعية أنه عامل من العوامل التي تؤدي إلى محو الروابط الاجتماعية بين الأفراد إذ ي عمل على تفكيرها و إضعافها ثم إنه يفقد الأمة قيمها و يبعدها عن أصلتها

أما من النهاية النفسية فإن النسيان يهدى شخصية الفرد و يهدى وحدتها لأنه يؤدي إلى زوال الذكريات و قد أثبت ذلك بعض الأطباء و علماء النفس من خلال ما يسمى بأمراض الذاكرة كالألمنيزيا و الأفازيا و البرامنيزيا و الإيرامنيزيا  
ففي الألمنيزيا و هي عبارة عن فقدان الذاكرة مثلا فإن المصاب بهذا المرض مثلا يفقد ذكرياته بصفة كلية أو جزئية ففي فقدان الكلي للذاكرة يفقد المرء كل ذكرياته نتيجة مرض أو حدث مما يؤدي إلى تغير تام في الشخصية كلها أما فقدان الجزئي للذاكرة له صورتين الأولى فقدان القدرة على تثبيت الذكريات الحديثة مع الاحتفاظ بالقدرة على استرجاع الذكريات القديمة و الصورة الثانية هي فقدان القدرة على استحضار الذكريات الماضية

و في الأفازيا فإن المصاب بهذا المرض يدرك الأشياء في الحاضر لكن سرعان ما ينساها أما في البرامنيزيا يحدث لدى المصاب اختلال في الوظائف الحركية حيث يكون المصاب عاجزا عن أداء حركات كان يجيدها من قبل أما البرامنيزيا و تسمى أيضا التذكير الوهمي و فيه يبدو المريض أن كل ما يراه في الحاضر سبق له و أن رأه في الماضي

أما في الإيبرامينيزيا و التي تسمى بفروط التذكر يتم فيها استدعاء الذكريات بجزئياتها و تفاصيلها من الماضي القريب و البعيد لتبقى هذه الصور في الذاكرة الراهنة لذلك يعرف هذا المرض بتضخم الذاكرة الشائع خاصة عند المتقدمين

أما مرض صعوبة التذكر يحدث لدى المصاب عجز في تثبيت الذكريات بسبب مرض يصيب الجملة العصبية و قد يكون مؤقتاً أحياناً مثل: المصاب بالحمى الشديدة أو يكون شبه دائم كما في أعراض الشيخوخة

أما في مرض انحراف الذاكرة و الذي يسمى بمرض الذاكرة الكاذبة ينشأ عن فشل في التعرف على الأشياء حيث يسترجع المريض صور و خبرات خاطئة و محرفة و مشوهة دون وعي منها أنها كذب

ففي هذه الأمراض يفقد الفرد القدرة على التكيف المطلوب و تلحق بالمصاب أضراراً تمس وحدة توازنه فيختل نشاطها و تفكك وحدة الآتا لهذا يرى ريبو أن النسيان في هذه الحالات يحدث بسبب المرض الذي يخرب الخلايا الدماغية و مختلف آثار الذكريات مما يؤدي في النهاية إلى الإختلال و عدم التوازن في الحياة

هذا و قد أكد سigmوند فرويد أن النسيان هو كبت الذكريات المؤلمة و هو حالة لاشعورية تعبّر عن الهروب من الواقع الذي نعجز عن مواجهته فالذاكرة تعني التنظيم أما النسيان فيعني وقوع الآتا فريسة للفوضى

**النتيجة:** حقيقة أن هناك مظاهر سلبية للنسيان لا يمكن إنكارها و تجاهل خطورتها غير أن ذلك لا يبرر أن النسيان حالة مرضية دائمًا يعيق التكيف فالواقع يثبت أن بعض حالات النسيان لابد منها بل هي ضرورية لتوازنه و تحقيق تكيفه في الحياة فقد يحصل أن تنسى بعض الذكريات لعدم حاجتنا إليها دون كبت أو إصابة دماغية مثل تجاوز الأحزان و الذكريات المؤلمة و المخجلة و هذا أمر إيجابي

**2 - عرض نقيض الأطروحة :** على خلاف الموقف الأول يرى بعض الفلاسفة و علماء النفس و في مقدمتهم هنري برغسون و فريديريك نيتشه و جورج غوستروف بأن النسيان ظاهرة إيجابية يؤدي إلى التكيف و تحقيق التوازن في الحياة فهو في نظرهم عامل من العوامل المفضية إلى النجاح في الحياة إنه نشاط مساعد لوظائف الذاكرة و منشط لفعالية الإنسان

و يستند أنصار هذا الاتجاه في تبرير موقفهم على الحجج التالية :

إن استقراء مظاهر النسيان يكشف أن لهذا الأخير أثر إيجابي في مختلف النواحي

فمن الناحية الذهنية فإن النسيان يفتح الباب أمام الأفكار و المعرفات الجديدة لتجد لها مكاناً في الذاكرة و لو كانت الذاكرة قوية لما وجد الإنسان مكاناً تخزين المعلومات الجديدة بحيث يعتبر النسيان شرطاً من شروط سلامة الذاكرة إذ أن هذه الأخيرة لا يمكنها أن تحافظ بكل دقة على الأمور و لو لا النسيان لما تقدمنا خطوة واحدة في تحصيل المعرفة و في هذا يقول روبير توكي : (( إن الذاكرة الأخذة و الحفاظة يمكنها أن تشكل عائقاً للتطور العالي للتفكير بسبب التراكم الذي تحدثه )) نفس الطرح نجده عند دوغاس حيث أكد أن النسيان ليس نفياً أو نقيضاً للذاكرة بل هو شرط من شروط سلامتها

أما من الناحية النفسية يرى برغسون أن النسيان حالة طبيعية مadam الشعور هو مخزن الذكريات فنحن نسترجعها في حالة شعورية فما ننساه من ذكريات فإن الشعور لا يرغب في تذكره فهو الذي يفتح المجال لتتجديد الذكريات حيث يقول دولاي : (( نحن نتذكر لأننا ننسى )) و يقول أيضاً : (( فالذاكرة التي لا يسندها النسيان تضر الإنسان بدل أن تنفعه ))

و تظهر إيجابيات النسيان أيضاً من الناحية الاجتماعية إذ يساهم في إعادة بناء العلاقات الاجتماعية بين الأفراد و الحكام و الشعوب حيث يتم نسيان الأحقاد و الصراعات لذلك يقال : (( النسيان يعني آثار الحقد و وطأة الألم بين الحكام و الملوك )) و يحكي أن أحدى القبائل المنغولية تحرم على أفرادها ذكر أسماء الموتى و ذلك من أجل نسيان الأحقاد لأن النسيان يمنع الأعداء الفرصة ليكونوا أصدقاء و يجعل من الآلام مجرد

محطات كان من الضروري الوقوف عندها في يوم مضى قلولا النسيان لاختفت الصدقة وسيطر الحقد و لو لا النسيان لم يبق الإنسان سجينًا في الماضي و لقد عبر الفيلسوف الألماني فريدريك نيشه على ذلك بقوله : (( لا سكينة و لا لذة في الحاضر بدون النسيان )) كما يؤكد بأن الإنسان الذي لا يريد أن يرى سوى ما هو ماضٍ مثله كمثل الذي يرغّم على التخلّي عن النوم أو كمثل الحيوان الذي يجتر من دون نهاية و يضيق قائلًا : (( أن النسيان هو تغيير عن الصحة الجيدة فالشخصية الحقيقية تمسح الطاولة لتفسح المجال لوجهة جديدة ))

كما يعتبر النسيان شرط من شروط استمرار حياة الإنسان حيث يقول غوسنروف : (( النسيان شرط لاستمرار الوجود )) كما شبه ضرورة النسيان بضرورة الضوء و الظلام للكائنات العضوية و ضرورة النوم بالنسبة للإنسان إذ أن الإنسان الذي لا يريد أن يرى سوى ما هو ماضٍ مثله كمثل الذي يرغّم على التخلّي عن النوم و وبالتالي يمكن لنا أن نعيش بدون ذكريات لكن يستحيل أن نعيش بدون نسيان و عليه فالنسيان إيجابي و مفيد للذاكرة

**النقد :** رغم ذلك فإن النسيان لا يجوز بوجه أو باخر اعتباره وظيفة إيجابية دائمًا إذ يعاني الكثير من النسيان خاصة حين تكون بحاجة ماسة إلى بعض الخبرات فتخوننا الذاكرة و يكون النسيان عدواً لصاحبـه فالناس يصفون ذاكرتهم بالخيانة عندما لا تستعفهم في الوقت المناسب بما يريدون تذكره مثل ذلك مرض الزهايمر و أهم أعراضه فقدان الذاكرة مثل صعوبة التذكر و عدم القدرة على اكتساب معلومات جديدة

**التركيب :** إن النسيان لا يكون سلبياً و معيقاً لصاحبها دائمًا كان مرضياً ، بل قد يكون حالة إيجابية للتكيف مع العالم الخارجي و تجاوز الأمور الثانوية الغير المهمة

**الموقف الشخصي :** و كمساهمة مني في حل المشكلة أرى أن النسيان حالة عادية و

ليس مرضًا و ما يبرر ذلك موقف عالم النفس الفرنسي هنري برغسون الذي اعتبر

النسيان حالة طبيعية يعيشها الفرد إذ لا يتذكر من الماضي إلا ما كانت له علاقة بالواقع

الذي يعيش فيه فالإنسان لا يلتفت إلى الماضي إلا لحاجته للتكيف إذ حاول برغسون

إثبات أن الحوادث السابقة لا تمحي و أن الذكريات المنسية لا تتلف أبداً إضافة إلى أن

النسيان فائدة كبيرة في تجاوز الذكريات الحزينة و لهذا يقول الكاتب الفرنسي شامفور :

(( يجب أن نعيش حياتنا يوماً بيوم و ننسى كثيراً ))

**الختام :** و بناءً على ما سبق نستنتج أن النسيان المرضي مهما كانت أسبابه و طبيعته

يعتبر ظاهرة سلبية معيقة لنشاط الفرد و فاعليته و هو على النقيض من النسيان الطبيعي

العادي الذي تقتضيه الحياة اليومية و ما يتخللها من أعمال و مشاكل لأننا لا نستطيع أن

نتعلم شيئاً جديداً إلا إذا نسينا مؤقتاً تجاربنا و ذكرياتنا الماضية و لو لا هذا النوع من

النسيان لما استطاع الإنسان أن يتكيف مع المواقف الجديدة أو الطارئة يقول الباحث

الفرنسي المعاصر جورج غوسدروف في كتابه الذاكرة و الشخص : (( النسيان شرط

لاستمرار الوجود ))